

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن مكتب تونس الحرة الذي يقدم اليوم للشرق العربي ولعالم الإسلامى ولكل من يهمه الاطلاع على قضية أمة تخوض معركة الحرية للحصول على الخلاص هذه المجموعة من الوثائق التي تصور المغرب الإسلامى على حقيقته وتوضح قضايا ومختلف وجهات النظر فيها ليكون الناس على بينة وليحكموا حكما صادقا على الأشخاص والنظريات والاتجاهات السياسية التي تسير فيها تلك القضايا وموقف كل منها إزاء الخطط الاستعمارية التي يضعها الفرنسيون للقضاء على ذاتية الأمة ومميزاتها ليسهل ابتلاعها وإدماجها في الوحدة الفرنسية وتصبح جزءاً من فرنسا يطلقون عليه اليوم وقد توهموا أنه تم وحصل « فرنسا ما وراء البحار » .

فهذا المغرب الإسلامى الذي يمتد من حدود مصر الغربية إلى شواطئ المحيط الاطلنطيكي والذي يسكنه أكثر من ثلاثين مليوناً من العرب المسلمين هو المنطقة التي ركزت فيها فرنسا جهودها الاستعمارية لتقطعها من جسم الشرق والعروبة والإسلام وتضمها إلى أوروبا فتكون بذلك المرحلة الثانية بعد التي كوتها اسبانيا في الأندلس . هذه المنطقة هي اليوم موطن الصراع العنيف وميدان النزاع بين أوروبا والإسلام . ويجب أن تتكافأ قوتها الكفاح . ففرنسا ومن ورائها أوروبا كلها وأمريكا تدعم كفاحها من أجل تحقيق غايتها في القضاء على هذا الجزء من العالم

الإسلامي . ومسلمو المغرب يتلمسون العون والتأييد من إخوانهم في الشرق ليقوا هذه الناحية من عالم العروبة والإسلام كما هي وكما خلقها الله .
وإن وضعية « مكتب تونس الحرة » الذي كان منذ نشأته ولا يزال بحمد الله مستقلاً بعيداً عن الانقياد للاهواء الحزبية والتأثيرات الشخصية هي التي تحولت عرض القضايا والاتجاهات التي تسير فيها وتأثيرات الشخصيات والحزبيات عليها وما أكسبها ذلك من فساد أو صلاح ومن إخفاق ونجاح استناداً على وثائق ثابتة وحجج دامغة ومثل من الواقع لا تقبل التأويل . فكما أن قضية المغرب قد أخرجت من النطاق المحلي الضيق الذي نتصارع فيه نحن وفرنسا وجهاً لوجه إلى الميدان الدولي الفسيح الذي تشترك معنا فيه الدول بمنظوماتها في نظر هذا الخلاف الذي احتدم بيننا وبين فرنسا . كذلك تخرج قضية المغرب من كونها خاضعة لشخصيات وأحزاب معينة في الداخل إلى ميدان أفسح هو ميدان هذا الشرق الذي تطلب تأييده وتلمس إعانته . فقد لزم أن ينظر معنا قضايانا وأن يدلي برأيه فيها الذي يقيم عليه دعائم تأييده وإعانته لنا . ونحن بدافع هذا نريد أن نضع أمامه قضية المغرب على حقيقتها وكما هي لا كما يريدونها المحتكرون للسياسة المغربية والذين يريدون منها قبل كل شيء تدعيم نفوذهم الشخصي وأنانيتهم الحزبية فلا يطلعون الشرق من قضية المغرب إلا على وجهة نظرهم ولا يتركونه يردد إلا أقوالهم وتصريحاتهم ولا يفسحون له المجال لينظر القضية كاملة بل يضغطون عليه ليرى ناحية واحدة منها هي ناحيتهم . فيكون بطبيعة الحال حكمه وتأييده ناقصاً غير كامل وأعرج لا يتمكن به من الإدلاء برأى سديد . وهذا ما رأيناه بارزاً في الفترة الواقعة بين جمع الجامعة العربية لقضايا المغرب في ملف واحد ومحاولتها تقديمها لهيئة الأمم كقضية واحدة وبين الفترة التي انسلخ

فما حزب تونسى هو حزب الدستور الجديد الذى يتزعمه - الأستاذ الحبيب بورقيبة عن تلك الحطة واتجه اتجاهها معاكساً لها بأن رضى أن يعرض عن الجامعة العربية وسياستها وما تهدف إليه وأن يخرج القضية التونسية من وحدة قضايا المغرب ويجعلها قضية مستقلة يتجه في حلها إلى التفاهم مع الفرنسيين رأساً والتفاوض معهم في قبول سياسة المراحل بدلا من سياسة الاستقلال الناجز التام . وهذا تجاوزا منه لما تهدف إليه السياسة الاستعمارية الفرنسية وتحويل أنظار التونسيين عن الشرق إلى الغرب وإرجاع قضيتهم إلى النطاق المحلى الضيق تحقيقا لرغبة المستعمرين الفرنسيين الذين يقولون إن الخلاف بين تونس وفرنسا هو خلاف محلى وخاص لا ينبغي لأحد التدخل فيه باعتباره من شئون فرنسا الداخلية .

ففي هذه الفترة لم يكن الشرق يسمع ولا يرى في القضية التونسية إلا وجهة نظر واحدة تمألأت كل العناصر على جعلها هي السائدة في الميدان . ذلك لأن المشروع الذى تحمله وهو التفاهم بين التونسيين الفرنسيين - قبول اصلاحات بدلا من الاستقلال التام - جعل الاستقلال الدائى مع بقاء الاحتلال الفرنسى في تونس طبعا هو الهدف بدلا من الاستقلال التام الذى يصحبه الجلاء . هذا المشروع هو في الحقيقة «مشروع أنجلو أمريكى» دسته دول الجبهة الديمقراطية اترضى به الطرفين تمكن فرنسا من بقاء احتلالها في تونس وتستعرض التونسيين باصلاحات وتعلق آمالهم بما تسميه «المراحل» . فكنا نشاهد في هذه الفترة أمراً مضحكا مبكياً وهو أن كل الذين تقدموا للدفاع عن قضية تونس لدى هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها وحتى جامعة الدول العربية كانت تتقدم بهذا المشروع - مفاوضات لتحقيق الاستقلال الدائى - على مراحل

ولا يوجد من تقدم بمشروع الاستقلال التام مع حفظ مصالح الجانبين بمعاهدات متعادلة حرة . هذا المشروع الذي يعبر عن فكرة الأمة التونسية ويتناسق مع ميثاق هيئة الأمم وحق الشعوب في تقرير مصيرها . ولكنه لم يجد تأييداً لأنه لا يحقق رغبات الاستعمار القديم ولا الاستعمار الحديث وبقي في طي الجهول لا يعرفه إلا القليلون لأن الدعاية المعارضة دفنته وأهالت عليه التراب .

وقد سارت فكرة الإصلاحات والمفاوضات والاستقلال الذاتي وورائها هذا الضجيج من مواكب الدعاية المختلفة الأهداف والأغراض ومرت أمام الشعوب والحكومات في أوطانهم وفي منظمة الأمم وفروعها وفي الصحافة العالمية . ولكنها اصطدمت بتحجر العقليّة الفرنسية فلم ترض فرنسا حق بذلك القليل التافه الذي أوعز به إليها أصدقاؤها من الإنجليز والأمريكان لكي تسوى به مشاكلكها المعقدة في تونس وبلاد شمال أفريقيا . الخطوط الأولية للحرب المقبلة التي أقل ما يجب أن تكون عليه هو الهدوء والاطمئنان . فرفضت فرنسا قبول كل العروض وبارحت الجلسة التي وقع الحوض فيها بمنظمة الأمم في قضيق تونس ومراكش . وأعرضت حتى عن المشروع البرازيلي التافه الهزيل . وعند هذا الحد وقفت القضية .

واقدم اتضح من جلسات هيئة الأمم موقف كل دولة من قضية تونس والمغرب واتضح موقف أميركا بالخصوص التي تسيطر على هذه الهيئة وموقف فرنسا لم يتغير بالرغم من اشتعال نار الثورة في تونس وتكاثر الضحايا بتأثير عمليات الإرهاب التي يقوم بها الجيش الفرنسي وعصابات المدنيين من الفرنسيين . وبالرغم من وقوع حوادث تنذر بالخطر على الأمن في

المغرب الأقصى فإن فرنسا مصرة على حل مشا كلها بالحديد والنار .
فهل تستمر تونس تحت هذه الموجة الطاغية من الفتك بأموال
التونسيين وأرواحهم وتعذيب المعتقلين منهم تعذيباً وحشياً دون أن
يتلقى المنكوبون إعانة والمعتقلون تخفيفاً مما يلقونه والمناضلون ما يرفع
معنويتهم على الدفاع عن أنفسهم وأموالهم وحرماهم التي كانت منذ أكثر
من سنة ولا زالت عرضة لحركة القمع الفرنسي .

هل تبقى تونس على هذه الحال بعد أن تقرر من مصيرها في منظمة
الأمم ما تقرر وبعد أن تغير موقف جلالة الملك عاماً كاملاً إزاء الضغط
الفرنسي ثم أخضعه تزايد الضغط وخذلان منظمة الأمم لقضية بلاده .
وموقف الشرق منها .

هل تبقى تونس تسير في نفس الحطة وتسير قضيتها على نفس المنهج
تنتظر اجتماعات منظمة الأمم وفروعها وتستجدي أصوات الدول التي
تسير في فلك أمريكا ولا يمكن أن تتخطى مركز الجاذبية فيها قيد أنملة .
لقد كان كل صوت يرتفع ليلقي أضواء كاشفة من ناحية أخرى على
الموضوع يسمى خلافاً وفساداً وتعطيلاً لسير الحركة .

أما اليوم ونحن على مفترق الطرق وفي شبهة راحة لاستئناف السير
وجب أن نلقى بآراءنا إلى الآراء الأخرى فيما تعالج به قضيتنا على تجارب
الماضي وأن نخرج بها من هذا المضيق الخائق وأن نجعلها قضية عامة
كسائر القضايا لكل مواطن أن يدلي برأيه فيها ولكل عربي ومسلم
وشرقي يرى فيها مشكلة من مشاكلكه وقضية من قضاياها .

ونسأل الله الإخلاص فيما نعمل والهداية والتوفيق .